معتقداتهم التي يعلنون عنها بشكل مباشر، فعندما يتعلق الأمر بالابداع الروائي فإنه قد يحدث أحياناً تفاوتٌ كبير بين المعتقدات النظرية والإديولوجية للكاتب وبين الرؤية الفكرية التي تتحكم في عمله أو بعض أعماله، فالإبداع يحرر المبدع أحياناً حتى من أفكاره الراسخة[102].

لقد أثيرت مسألة قريبة من هذه بالذات قبل «لوكاتش» من طرف «بليخانوف» نفسه، وخاصة عندما قال:

«إن القول بأن الفن وكذلك الأدب: انعكاس للحياة، لا يعدو الإفصاح عن فكرة هي على صحّتها في غاية الإبهام»[103].

إلا أن هذه المشكلة قد أصبحت عند «لوكاتش» هاجساً حقيقياً، وخاصة عندما يتعلق الأمر ببعض أعمال الروائيين الكبار، أمثال «بالزاك».

إن التفاوت الموجود عادة بين إديولوجيا الكاتب والإديولوجيا المُعَبَّر عنها في إبداعه الروائي، ينعكس على هذا الإبداع غالباً بصورة إيجابية، إذ يوجهه نحو الاستيعاب الشمولي للواقع، كما يطبع الأبطال الرئيسيين بنوع من التناقض الخلاق، فقد يجمع هؤلاء الأبطال بين فكر طوباوي، وبين دعوة تحررية، ويبقى مع ذلك البحث عن قيم أصيلة في الواقع يُشَكِّلُ محوراً أساسياً في رؤاهم. وهذه النقطة لم تجد اهتماماً كبيراً لدى النقاد الجدليين الأوائل.

إن إدراك التفاوت الذي يحدث أحياناً بين إديولوجيا الكاتب ورؤيته الابداعية، **يؤكد أن «لوكاتش» قد أخذ في وضع النقد الجدلي على الطريق الأدبي، وليس فقط على الطريق الاجتماعي.** وهذا يعني أنه بدأ يميز بشكل لا جدال فيه بين طبيعة الإبداع ـ حيث تتدخل العناصر اللاّواعية أيضاً ـ وبين التصريحات الإديولوجية التي يعلن عنها الكاتب في صحوته اليومية. إن الرواية إذاً لم تعد مجرد فكر إديولوجي، ولكنها أولاً وقبل كل شيء صياغة جمالية ربما تتجاوز الذات المبدعة أحياناً لتفصح عن صوت آخر قد يكون مُعارِضاً لهذه الذات نفسها.

غير أن الطموح النظري يكون دائماً مُجَاوِزاً لما يقوم به الناقد في مستوى الممارسة. «فلوكاتش» يتأرجح في هذا الجانب الأخير بين الدراسة الجمالية، والتفسير الاجتماعي والاقتصادي، وإنْ كُنّا نراه يُغَلِّبُ قليلاً تحليل الرواية في ضوء المعطيات الاجتماعية والاقتصادية.

---

(102) Ibid., P. 25 - 26.

(103) بليخانوف: **الفن والتصور المادي للتاريخ**، ص 37.